مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(عبرانيين ١١: ٩–١٠؛ ١١: ٣٢–٤٠)

يا إخوةُ بالإيمانِ نزلَ إبرهيمُ في أرضِ الميعاد نزولَه في أرضٍ غريبةٍ وسكنَ في خيامٍ مع إسحق ويعقوبَ الوارثَيْنِ معهُ للموعدِ بعينهِ* لأنَّهُ انتظرَ المدينةَ ذاتَ الأُسُسِ التي اللهُ صانعُها وبارئُها* وماذا أقولُ أيضاً. إنَّهُ يضيقُ بي الوقتُ إن أخبرتُ عن جدعونَ وباراقَ وشمشونَ ويفتاحَ وداودَ وصموئيلَ والأنبياءِ* الذين بالإيمانِ قهَروا الممالكَ وعملوا البرَّ ونالوا المواعِدَ وسدُّوا أفواهَ الأُسودِ* وأطفأوا حدَّةَ النارِ ونَجَوا من حدِّ السيفِ وتقوَّوا من ضُعفٍ وصاروا أشدَّاء في الحربِ وكسروا معسكراتِ الأجانب* وأخذتْ نساءٌ أمواتَهنَّ بالقيامة. وعُذِّبَ

المولود من الآب قبل كل الدهور

في المجمع المسكوني الأول ثبّت آباؤنا القديسون إيمان الكنيسة بأن يسوع الناصري المولود من حشا العذراء مريم في بيت لحم هو نفسه الكلمة ابن الله وأنه مولود من الآب قبل كل الدهور، أي انه ما كان زمان لم يكن فيه الابن موجوداً، وهو نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق ومساوٍ للآب في الجوهر. هذا ما تشهد به الكنيسة اليوم في دستور إيمانها كلما صلّت، وهذا الإعلان يشير إلى ابن الله المسمى أيضًا الكلمة، قبل ابتداء الزمان وأيضًا قبل ولادته بالجسد من العذراء مريم في بيت لحم.

كنيسة المسيح تشهد لابن وحيدٍ لله، وبتكرارها لعبارة مولود تشدد على بنوّة الابن لأبيه بالجوهر لا بالتبني، بنوّة تحمل كل خصائص الجوهر الأبوي بلا استثناء. ابن الله مولود من الآب «قبل كل الدهور»، أي قبل ابتداء الزمان، والزمان بُعد من أبعاد العالم المخلوق.

الأزلية أو بالحري الـ «لا زمنية» صفة من صفات الله وهو خالق الأزمان، ووجود الابن بجانبه ينتمي إلى هذه الـ «لا زمنية» التي هي حاضرٌ دائم. «أنتِ ابني، أنا اليومَ وَلدْتُكَ، اسألني فأُعطيكَ الأممَ ميراثًا لك وأقاصي الأرض مُلكًا لك» يقول سفر المزامير (مز ٢:٧).

في هذا «اليوم» الدائم دوام الله، ولد الله ابنه الوحيد، وإن كانت لغات البشر تورد فعل الولادة بصيغة الماضي إلا أن سر ولادة الابن من الآب يكمن تحديدًا في هذا «اليوم» الدائم، صيغة الحاضر التي يتكلم بها المزمور. أزلية الابن صفة من صفات الآب، وهي دلالة من الدلالات على كونه مولودًا من الآب لا مخلوقًا منه، بالجوهر لا بالتبني. في رسالة القديس بولس إلى أهل رومية يبرز الفارق جليًا بين البنوّة بالجوهر وتلك التي بالتبني (رو ٥:١٥ و٢٩ و٣٢). نحن نعرف أن المواليد يحملون جوهر والديهم كاملاً، والكائن لا يلد إلا من صلبه.

بين الأناجيل الأربعة ينفرد إنجيل يوحنا بالحديث عن هذا

العدد ٢٠٠٩/٥١
الأحد ٢٠ كانون الأول
أحد النسبة
تقدمة عيد ميلاد ربنا يسوع المسيح بالجسد وتذكار القديس الشهيد في الكهنة اغناطيوس المتوشح بالله
اللحن الثالث
إنجيل السَحَر السادس

آخرونَ بتوتيرِ الأعضاءِ والضربِ ولم يقبَلوا بالنجاةِ ليحصُلوا على قيامةٍ أفضل* وآخرونَ ذاقوا الهُزءَ والجَلْدَ والقُيودَ أيضًا والسِّجن* ورُجموا ونُشروا وامتُحنوا وماتوا بحدِّ السيفِ وساحوا في جُلودِ غَنَمٍ ومَعِزٍ وهم مُعوَزون مُضايقون مجهودون* ولم يكن العالمُ مستحقًّا لهم. وكانوا تائهينَ في البراري والجبالِ والمغاورِ وكهوفِ الأرض* فهؤلاءِ كلُّهم مشهودًا لهم بالإيمانِ لم ينالوا المواعِد* لأنَّ اللهَ سبقَ فنظرَ لنا شيئًا أفضَلَ أن لا يكملوا بدونِنا.

الإنجيل

(متى ١:١-٢٥)

كتابُ ميلادِ يسوعَ المسيحِ ابنِ داودَ ابنِ إبرهيمَ* فإبرهيمُ وَلَدَ إسحقَ وإسحقُ وَلَدَ يعقوبَ ويعقوبُ وَلَدَ يهوذا وإخوتَهُ، ويهوذا وَلَدَ فارَصَ وزارَح من تامارَ، وفارَصُ وَلَدَ حصرونَ وحصرونُ وَلَدَ أرام، وأرامُ وَلَدَ عَمّيناداب

الوجود الـ «لا زمني» لابن الله مفتتحًا البشارة بالقول «في البدءِ كان الكلمةُ والكلمةُ كان عندَ اللهِ وكان الكلمةُ اللهَ، هذا كان في البدءِ عند اللهِ» (يو ١:١-٢). في بشارة القديس يوحنا أنه في البدء المطلق، أي قبل ابتداء الأزمنة، كان الكلمة موجودًا بما يعني أن للكلمة ابن الله كيانًا قائمًا في أزل الله. أي بالعبارة البسيطة لم يكن زمان ما كان فيه الكلمة موجودًا، وهذه الأزلية ليست من صفات المخلوقات بل هي من صُلب الجوهر الإلهي.

في إنجيل يوحنا أيضًا يخاطب الرب يسوع اليهود قائلاً «قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن» (٥٨:٨) وقوة القول تكمن في ما أراده السيد المبارك من إيضاح للفرق بينه وبين ابراهيم أبي الآباء والأنبياء كلهم، بين المحدود في الزمن وبين الكائن قبل الأزمان. من يقرأ الكتاب المقدس يعرف أن اسم «الكائن» هو الاسم الذي عرّف به الله عن نفسه لموسى في سفر الخروج (١٤:٣). والإيمان باسم الله ملازم للإيمان باسم ابنه الوحيد للخلاص. وهل يعقل أن يكون مخلوقٌ ما موضوع إيمان بل شرطاً للحياة الأبدية؟ (يو ١٦:٣-١٨). وهل من الممكن أن يحقق الله الخلاص لمخلوقاته بمخلوق مثلهم أو بـ «ابن محبته» سيد الملكوت والذي «الكل به وله قد خُلق»؟ وهل من مخلوق يستطيع تحقيق المصالحة بين الخليقة المتمردة والله خالقها؟ ليس شيء من هذا ممكنًا لو لم يكن الفادي مولودًا من صلب أبيه. هكذا يشهد القديس الرسول بولس لسرّ الابن المولود من الآب الأزلي (كو ١٣:١-٢٠).

أنبياء العهد القديم حملوا كلمة الله لشعبه وأوتوا المعجزات والآيات الباهرة، ولكن أحدًا منهم لم يُماهِ نفسه بالله ولا عمله بعمل الله (يو ٣٨:١٠) وهذا هو الفرق بينهم وبين الرب يسوع. هم رسل مخلوقون أما هو له المجد فالابن الوحيد المولود من الآب. بين الآب والابن إلفة ومحبة حميمتين تفوقان فهم البشر (يو ٥: ٢٠) وتمجيد متبادل غير ممكن إلا للمتساوين في الكرامة والجوهر على ما نقرأ في إنجيل يوحنا أيضًا (١٣: ٣١-٣٢) وفي غيره من المواضع الكثيرة. من له هذه الميزات والخصائص الكثيرة لا يمكن أن يكون مخلوقًا، والكل يعرف أن الهوة بين المخلوق وغير المخلوق واسعة أيّما اتساع. وإن كان الخلاص موضوع إيمان لا موضوع منطق أو استيعاب عقلي، نقول إن ردم الهوة ما كان ممكنًا بلا اتحاد الجوهر الإلهي غير المخلوق بالطبيعة البشرية المخلوقة، في ذات الكلمة الابن الوحيد مولوداً بالجسد من العذراء الطاهرة، محققًا بدمه على الصليب المصالحة بين الخالق الأطهر والمخلوق الساقط. هذا ما عبّر عنه الرسول بولس في عدة أماكن، هذا ما تؤمن به الكنيسة وهو موضوع رجائها.

في سفر إشعياء النبي يقول الرب«ها العذراءُ تحْبَلُ وتلِدُ ابنًا وتدعو اسمَهُ عمّانوئيلَ» (١٤:٧)، وعمانوئيل معناها أن الله معنا، أي أن الله نفسه هو الذي منذ التجسد صار معنا، أي مقيمًا فينا. كأننا بالله يقول لخليقته خلاصي الأكبر آت انتظروه، وبولادة العمانوئيل الإلهي من البشرية المخلوقة تحقق الوعد وصار خلاص الإنسان متاحًا، بقدر اقتباله لحضور الله فيه.

وعَمّيناداب وَلَدَ نَحْشونَ ونَحْشونُ وَلَدَ سَلْمونَ، وسلمونُ وَلَدَ بُوعَزَ من راحابَ وبُوعَزُ وَلَدَ عوبيدَ من راعوثَ وعوبيدُ وَلَدَ يسَّى ويسَّى وَلَدَ داوُدَ الملكَ* وداوُدُ الملكُ وَلَدَ سليمانَ مِنَ التي كانت لأُريَّا، وسليمانُ وَلَدَ رَحَبْعامَ ورَحَبْعامُ وَلَدَ أبيًّا وأبيًّا وَلَدَ آسا* وآسا وَلَدَ يوشافاطَ ويوشافاطُ وَلَدَ يورامَ ويورامُ وَلَدَ عُزِّيَّا، وعُزِّيَّا وَلَدَ يوتامَ ويوتامُ وَلَدَ آحازَ وآحازُ وَلَدَ حِزقِيًّا، وحِزقِيًّا وَلَدَ مَنسَّى ومَنسَّى وَلَدَ آمونَ وآمونُ وَلَدَ يوشيًّا، ويوشيًّا وَلَدَ يكنيًّا وإخوتَهُ في جلاءِ بابل* ومن بعد جلاءِ بابل يَكُنيًّا وَلَدَ شألتئيلَ وشألتئيلُ وَلَدَ زَرُبابِلَ، وزَرُبابِلُ وَلَدَ أبيهودَ وأبيهودُ وَلَدَ أليِاقيمَ وأليِاقيمُ وَلَدَ عازورَ، وعازورُ وَلَدَ صادوقَ وصادوقُ وَلَدَ آخيمَ وآخيمُ وَلَدَ أليهودَ، وأليهودُ وَلَدَ أليعازارَ وأليعازارُ وَلَدَ مَتَّانَ ومتَّانُ وَلَدَ يعقوبَ، ويعقوبُ وَلَدَ يوسفَ رجلَ مريمَ التي وُلِدَ منها يسوعُ الذي يُدعى المسيح* فكلُّ الأجيال من إبرهيمَ إلى داودَ أربعةَ عشرَ

يسوع المسيح غاية التاريخ

تُعلن الكنيسة في عيد الميلاد تجسد الرب يسوع كلمة الله وحكمته وقوته. وهذا الظهور للإله المتجسد في حياتنا، ما هو إلا دعوة لنا إلى التجديد والتوبة.

آدم القديم آثر الانفصال عن الله وعصيان وصيته، فمرضت طبيعته واعتراها الوهن. خَسِرَ وشاح النعمة المنير فأضحى عاريًا لا عزاء له. وتقليد آبائنا القديسين يتوسّع في وصف حالة آدم وحواء المزرية بعد السقوط، ونوحِهما على الفردوس المفقود، وبُعدهما عن حنان الله ونوره.

ما لا شك فيه أن حالة الانفصال عن النعمة الإلهية المحيية، والانقطاع عن شركة القداسة مع الخالق، هي أساس وجود «الشر في العالم». قول الرب لآدم إن «الأرض كلها ملعونة بسببك» (تك ٣:١٧) إعلانٌ لوُلوج الظلمة، «ظلمة الموت وظلاله»، إلى واقع التاريخ الإنساني والمجتمعات البشرية كافة. ساد منطق «بقاء الأقوى» فبات «الأقوياء» يصنعون التاريخ ويوجّهون دفته. بدا للكلّ أن سيادة الشر لا شيء يقمعها فأضحى «الضعفاء والصغار» مهزومين متروكين لا ملجأ لهم ولا رجاء.

ولكن الكتاب المقدس يبشّرنا بغير هذا. فإنه مباشرة بعد سقوط الإنسان، تظهر أول علامة لتدبير الله لخلاص البشرية بالمسيح في قول الله للأفعى: «وأضعُ عداوةً بينكِ وبين المرأةِ وبين نسلِكِ ونسلِها، هو يسحَقُ رأسَكِ وأنتِ تسحقين عَقِبَهُ» (تك ٣:١٥).

ويتجدد الوعد بالخلاص في العهد بين الله وابراهيم: «ويتبارَكُ في نسلِكَ جميعُ أمَمِ الأرض» (تك ٢٢:١٨). من الواضح أن هذا الوعد ليس محصورًا بأولاد ابراهيم بل هو يخرج من نسل اليهود ليشمل كل أمم الأرض.

وبدأت تهيئة الشعب لاقتبال المخلص، فأُعطيَ موسى الناموس. وجاءت نبوءات العهد القديم عن المسيح وعن سائر حوادث حياته الخلاصية على الأرض، والتي كانت تزداد وضوحًا ودقة كلما اقترب زمان حضوره. من أجل ذلك كان كثيرون ينتظرون تعزية إسرائيل (لو ٢:٣٥)، وفداءً في أورشليم (لو ٢: ٣٨).

«كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتيًا إلى العالم...» (يو ١:٩–١٠). فلا عجب أن يشعر جميع الشعوب بالحاجة إلى الخلاص من عبودية الشر والرغبة في فداء النفوس، وأن يعبّروا عن ذلك بالرجاء في مخلص وفادٍ.

وانتظار المخلص لم يكن مقتصرًا على العبرانيين دون سواهم. لأن عناية الله لم تكن غائبة عن مصير شعوب الأرض كلها (إش ٤٥: ٢٠ و٢٢، ٤٩:٦، ٥١:٤، ٥٢:١٠، حب ٢:١٤، حج ٢:٧، زك ٢:١١، أع ١٤:١٦–٢٧، ١٧:٢٦–٢٨ ...).

ولعل تشتّت اليهود بين الأمم أدّى إلى التأثير على الحياة الدينية وعلى أخلاقيات شعوب العالم الوثني. لا بل نجد لدى بعض الآباء الأولين الانطباع بأن الحكماء اليونان عرفوا الأسفار المقدسة المترجمة إلى اللغة اليونانية واستوحوا منها. وليس أدل على انتظار الشرق الوثني للمخلص ومعرفته لزمان ولادته من مجيء المجوس إلى بيت لحم، وسرعة انتشار المسيحية في العالم الوثني.

جيلاً ومن داودَ إلى جلاءِ بابل أربعةَ عشرَ جيلاً ومن جلاءِ بابل إلى المسيح أربعةَ عشرَ جيلاً* أمَّا مولدُ يسوع المسيحِ فكان هكذا: لمَّا خُطبتْ مريمُ أمُّهُ ليوسفَ وُجدتْ من قبلِ أنْ يجتمعا حُبلَى من الروح القدس* وإذ كان يوسفُ رجلُها صِدّيقًا ولم يُرِد أنْ يَشْهَرَها هَمَّ بتَخْلِيَتِها سرًّا* وفيما هو متفكرٌ في ذلك إذا بملاكِ الرب ظهَرَ لهُ في الحلم قائلاً يا يوسفُ ابنُ داود لا تخَفْ أنْ تأخذَ امرأَتك مريم. فإنَّ المولودَ فيها إنَّما هو من الروح القدُّس* وستلِدُ ابنًا فتُسمّيه يسوعَ فإنَّهُ هو يخلّصُ شعبَهُ من خطاياهم* وكان هذا كلُّهُ ليتمَّ ما قيل من الرب بالنبي القائل: ها إن العذراءَ تحبلُ وتلد ابنًا ويُدعى عمَّانوئيل الذي تفسيرُهُ الله معنا* فلمَّا نهض يوسفُ من النوم صنع كما أمره ملاكُ الرب فأخذ امرأته* ولم يعرفْها حتَّى ولدتِ ابنَها البكرَ وسمَّاهُ يسوع.

الوثني.

أناس تلك الفترة التي تجسد فيها المخلص كانوا قد بلغوا ذروة معرفتهم لعبودية الشر والخطيئة، وانحدار الإنسان إلى أدنى دركات الضياع والفساد الأخلاقي والديني والاجتماعي. بالمقابل كان أناس يتبررون ويتقدسون بطاعة الله وحفظ وصاياه، لأنه «حيث كثرت الخطيئة ازدادت النعمة جدًا» (رو ٥:٢٠).

بلغت الإنسانية أقصى مخاض الإنتظار، انتظار المسيح، فكان أن «أُرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة، إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم» (لو ١:٢٦-٢٧). وكانت العذراء تاج قداسة العهد القديم وثمرها. فإن بهاء السيدة واتضاعها ونقاوتها مع تجاوبها الكامل مع مسرّة الله ومشيئته سمحت للخالق أن لا يفرض خلاصه عنوة على الجنس البشري، بل أن تتقبل الإنسانية هذا الخلاص برضى وتواضع: «ليكن لي بحسب قولك» (لو ١:٣٨).

هكذا، وبعد فترة طويلة من الانتظار والتهيؤ، «لما حان ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة، مولودًا تحت الناموس، ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني» (غلا ٤:٤-٥).

الإله ظهر بالجسد طفلاً رضيعا مقمطا ليجدد دعوة الحياة الأبدية والرحمة العظمى.

من أقوال الآباء

أتدعو نفسك مثقفًا ثقافة روحية يا أخي؟ تحقق من ذلك من خلال أعمالك. فكما أن الجسد بدون روح ميت، هكذا المعرفة بدون العمل ميتة أيضًا. وإذا كان عدم معرفة الكتاب المقدس ضلالاً للإنسان، فمعرفته وإهمال ما يوصي به في نفس الوقت هما ضلال مضاعف له.

(القديس أفرام السرياني)

إذا اقتنى أحد آنية ما ليقضي بها حاجته ولم يجدها عند الضرورة لا نفع له من قنيتها. هكذا يكون بالنسبة لمن يقول: إني أخاف الله وأعرف الكتب المقدسة، لكنه لا يتصرف بخوف الله عند الحاجة، سواء في أوان الغضب أو الدالة، أو تعليم الآخرين شيئًا جديدًا، أو المحاباة، أو أي هوى آخر يعتريه. فإنه إذا لم يجد خوف الله في هذا الوقت، باطل اتكاله على معرفة الكتب الإلهية.

(الأب أشعيا)

عيد الميلاد

بمناسبة عيد ميلاد ربنا يسوع المسيح بالجسد يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الجمعة ٢٥ كانون الأول في كاتدرائية القديس جاورجيوس في ساحة النجمة. ويستقبل سيادته المهنئين يوم الجمعة ٢٥ كانون الأول من الساعة ٤ ب.ظ حتى الساعة ٧ مساء ويوم السبت ٢٦ كانون الأول من الساعة ١٠ صباحاً حتى الواحدة ومن الساعة ٤ ب.ظ. حتى الساعة ٧ مساء.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb